

## من السرد إلى التاريخ

### أو في ضرورة التخفيف من عنف الهوية السردية لدى بول ريكور

د. الشريف زروخي \*

الإرسال:	2018/06/17	القبول:	2018/09/24	النشر:	2018/12/22
----------	------------	---------	------------	--------	------------

#### الملخص باللغة العربية:

تسعى هذه الدراسة إلى كشف العلاقة بين السرد والتاريخ والزمان في أفق الفلسفة الغربية بدءاً بأرسطو الذي رأى في الزمان عامل تنظيم وترتيب للأحداث والأفعال السردية، مروراً بالقديس أوغسطين الذي رفض تعريف الزمان على أنه ثلاثي الأبعاد وإنما هي أبعاد تلتقي كلها في الحاضر، وصولاً إلى بول ريكور الذي يعتقد أنها ظاهرة تكشف عن البعد الإنساني في كل الفنون الأدبية من سرد وقصة وحكاية وشعر، وأدرك بول ريكور أن حياة الفلسفة في تواصلها مع مختلف الحقول المعرفية الإنسانية والعلمية، وموتها في انكماشها على ذاتها، لهذا دعا إلى ضرورة إعادة قراءة التراث وتجارب القدامى بكونها مليئة بالمعنى الذي يساعدنا على مواجهة ظاهرة العنف الهوياتي، وهو في كل هذا يحافظ على التقليد الهرمينوطيقي الذي يقلل من شأن الكاتب ويرفع من شأن المتلقي أو القارئ، ويقترح علينا التأويل السردية كسبيل لعيش الحياة في صورة شعرية عن طريق الحكى والرواية، كما أدرك قيمة انفتاح الفلسفة على عالم اللغة، بكوننا كائنات نعيش داخل عالم اللغة ونفكر عبر اللغة، واللغة في علاقة دائمة بالذاكرة المثقلة بالألام والأحلام.

**كلمات مفتاحية:** السرد التاريخي، الزمن الإنساني، الهوية السردية، الذاكرة، عالم اللغة.

\* - أستاذ بقسم الفلسفة جامعة محمد لين دباغين سطيف2: البريد الإلكتروني: [cherifz@outlook.fr].

### ملخص باللغة الإنجليزية:

**Abstract:** This study seeks to uncover the relationship between narration, history and time in the Western philosophical horizon, beginning with Aristotle, who saw in time a factor of organizing and arranging events and narrative acts, through St. Augustine who rejected the definition of time as three-dimensional, And Paul Ricœur, who is believed to be a phenomenon that reveals the human dimension in all literary arts from narrative, story, story and poetry, and Paul Ricœur realized that the life of philosophy in its communication with different fields of human and scientific knowledge, and death in shrinking itself, And the experiences of old people being filled with the sense that helps us to face the phenomenon of identity violence, In all this, it preserves the Herminutical tradition, which diminishes the writer's interest and elevates the interest of the recipient or the reader. He suggests narrative interpretation as a means of living life in poetic form through narrative and narrative. He also recognizes the value of the openness of philosophy to the world of language, We think through language and it is in relation to the memory of pain and dreams..

**Keywords:** historical narrative, human time, narrative identity, memory, world of language.

### مقدمة:

عمدنا في هذه الدراسة من جهة إلى تفكيك العلاقة بين ثلاثة مفاهيم حساسة نظرا للعلائق الموجودة بينها، وهي: السرد، التاريخ، الهوية، والكشف من جهة ثانية عن علاقتها بما هو فلسفي وذلك من خلال أعمال الفرنسي بول ريكور Paul Ricœur\*\* ، الذي عمل على الربط بين التاريخ وإمكانية سرده بطريقة شعرية مستندا

\*\* - بول ريكور (1913-2005) فيلسوف فرنسي ولد بمدينة فالنس Valence من رواد المدرسة التأويلية المعاصرة، يعرف بفيلسوف التخوم لأنه تمكن من التواصل مع كل التخصصات العلمية، وأمن بضرورة انفتاح الفلسفة على كل الفنون والعلوم، مما صعب مهمة تصنيف فلسفته لأنها فلسفة موضوعاتية، فقد تواصل مع

إلى المعلم الأول أرسطو **Aristote** بهدف المحافظة على مكانة التاريخ في فضاء العلوم الإنسانية، فقد عمد إلى تبيان العلاقة بين ماهو معيش وماهو مروى، جاعلا من التاريخ مروى ومن الحياة معاشة، مصرا على ضرورة تطعيم التفسير التاريخي بعملية الفهم الروائي، فكلما كانت أحداث التاريخ واضحة كلما كان بالإمكان روايتها بصورة أفضل. وهكذا عمل ريكور على إثارة الأسئلة المصيرية المتعلقة بحقيقة الحياة المأساوية. حياة لا تزال مدانة للذاكرة، ذاكرة لا ينبغي أن توضع طي النسيان، وإنما يجب أن تفعل بطريقة عملية في ظل مقولة التسامح والاعتراف وتحمل المسؤولية أمام الضحايا. ومن عوامل تفعيل الذاكرة السرد.

وربط التاريخ بالسرد والسرد بالرواية يعني فتح الفلسفة على الأعمال الأدبية، وانفتاح الفلسفة على الفنون الأدبية هو ثورة حقيقية في رأينا على الانساق التقليدية التي كانت ترى في الخطاب الفلسفي الصرامة العقلية والمنطقية. كما أن الثورة تكمن في ضرورة الانفتاح على تجارب الآخر المغاير في أفق الايتيقا التي تحدث عنها **إيمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas (1906-1995)**، وكلها فنون تلتقي في التجربة الإنسانية كتجربة زمنية، وهنا يكون ريكور قد تجاوز التأويلية الكلاسيكية التي تنسب لديلتاي **Wilhelm Dilthey (1833-1911)** وشلاير ماخر **Schleiermacher (1768-1834)**، بكونها تأويلية قامت على الفصل بين علوم الروح وعلوم المادة من زاوية منهجية وموضوعية، والمعروف عن ديلتاي جعله المعيش موضوعا للتاريخ، ويكون بذلك قد وضع التاريخ في العلوم الإنسانية، من هذا المنطلق حاول ريكور عقد مقارنات بين التاريخ والسرد وبين التاريخ والأسطورة وبين التاريخ والقصة الخيالية، وكل هذه العناصر في حالة تفاعل متبادل، فالخيال يكمل النقص في التاريخ، كما أن الأسطورة تساعدنا على عملية إعادة بناء الماضي عبر ربط الأحداث بعضها ببعض. لذلك نتساءل كيف نفكر فلسفيا مع ريكور في التاريخ؟ وهل الإنساني يتحقق بالمرور عبر المروي والفعل السردى؟ وكيف يمكن للسرد أن يؤسس لهوية منفتحة تقبل بالتعايش مع الآخر المختلف؟

وجودية غريبال مارسيل وياسبرز، وهيدجر ومع ظاهراتية إدموند هوسرل ومع تيولوجيا رولان بارت، وكما فكر مع وضد فلاسفة الازتياب، فرويد، ماركس، نيتشه، "أظف إلى ذلك عمل على تأسيس هيرمينوطيقا منفتحة تجتمع فيها كل المناهج من: فينومينولوجيا، تأويل، تفسير، فهم، تحليل نفسي، تفكيك، أنثروبولوجيا، النقد التاريخي، وكان من نقاد العلمانية الفرنسية داعيا إلى تأسيس علمانية نائلة قادرة على استيعاب التنوع والاختلاف العقدي والثقافي، علمانية تتموضع في أفق كوني.

أ- من السرد إلى التاريخ: يُعرّف بول ريكور بفيلسوف التخوم "un philosophe des frontières" 1، لأنه تمكن من التأسيس لمشروع هيرمينوطيقي عبر فتح الفلسفة على كل حقول المعرفة الإنسانية، إيماناً منه أن الفكر الفلسفي يحيا بالتواصل ويموت وينتحر بالانغلاق على الذات، ويتحدد مشروع ريكور تحديداً إشكالياً أو موضوعاتياً، لأنه فكر خارج النسق على خلاف الرؤية الهيغيلية 2، فقد آمن بضرورة التفكير انطلاقاً من طروحات مسبقة على طريقة غادامير Hans-Georg Gadamer (1900-2002)، الذي رفض فكرة التخلي عن الأحكام المسبقة في أية عملية تأويلية، بحكم أننا نقرأ انطلاقاً من فرضية أن هناك من يتحدث إلينا دائماً، والذي يتحدث إلينا ينتمي إلى الماضي لكنه مستمر في حاضرتنا، لهذا نهنا غادامير إلى ضرورة وعي أشكال حضور الماضي في الحاضر، وهذا ما يعرف عنده بانصهار الآفاق، أي أننا نحاول التواصل مع التراث بهدف فهم مشكلاتنا اليومية، فكل شيء يحدث في أفق الحاضر (التأويل التاريخي)، وعلى طريقة غادامير جعل ريكور من فلسفته فلسفة فعل (action) تسعى لأشكلة قضايا الإنسان اليومية من: مأساة وألم ويأس وحزن وعدم وموت، وأمل وتوق للسعادة باستمرار، فقد فكر في أفق الوجودية وموظفاً أدوات التواصلية معيدين بناء التجربة البشرية فينومينولوجيا لإعطائها بعدها الإنساني هيرمينوطيقياً. كما فكر مع وضد فلاسفة الارتباب مما جعل فلسفته تتميز بالقدرة على النضال في عالم قلق 3 خاضع لسيطرة الرموز، لهذا انتبه ريكور إلى ضرورة تجاوز التمثلات المباشرة التي انحدرت من ديكرات وبحثنا على ضرورة التحول إلى التفكير عبر الوسائط (les médiations) 4.

وإذا فكرنا مع ريكور فينبغي أن نفكر انطلاقاً من المثلث الأنثروبولوجي: الرمز، النص، الفعل، السرد، وتقابلها العبارات التالية "أستطيع"، "أستطيع الكلام، أستطيع الفعل، أستطيع القص، ومن حيث التأسيس يقابلها "نظرية النص Théorie du texte"، "نظرية الفعل Théorie de l'action"، "نظرية التاريخ Théorie de l'histoire". يقول ريكور: "أستطيع الكلام وذلك يعني مراجعة ملف اللغة الضخم، أستطيع الفعل وبذلك

1 - Charles Taylor. Une philosophie sans frontières .Magazine littéraire. N°390.septembre 2000. p32

2 - Paul Ricœur, philosophie de la volonté, Paris 2<sup>ème</sup> édition, 1988, p18.

3 -Dosse, Paul Ricœur, le sens d'un vie, la Découverte, Paris, 1997, p05.

4 -Greich. Kearny, Paul Ricœur ou les métamorphoses de la raison herméneutique, cerf,1991,p10

راجعت ملف الإرادي والفعل، أستطيع القص وبذلك استعدت الزمن والقص.<sup>1</sup> ولاحظنا أن السرد مصطلح مركزي في مشروع ريكور فهو يعد بمثابة اللحظة الجامعة لكل اللحظات بداية من القدرة على الكلام (اللغة، والتفكير عبر الرموز)، مروراً إلى القدرة على الفعل (في مستوى التجربة المعيشة) وصولاً إلى مرحلة الارتقاء بالتجربة إلى مستوى السرد (القص) ليصبح فعل تأريخي في نظره.<sup>2</sup>

وإذا كان التاريخ علم مستقل من ناحية موضوعية ومنهجية فهو يهتم بما هو ماضي من أحداث وبما يشكل الذاكرة التي تؤثر باستمرار على رؤيتنا لحاضرنا ومستقبلنا، والذاكرة موطن الخبرات المملوءة بالمعنى، كما تعد الذاكرة حقلاً تلتقي فيه العديد من الفنون من: فلسفة، أدب، تاريخ، علم هذا ما يجعل مادة التاريخ موضوعاً للمساءلة الفلسفية مساءلة إبستمولوجية، رغم أن علماء التاريخ عمدوا إلى توظيف المنهج العلمي لبلوغ الصرامة الموضوعية (ملاحظة، فرضية، تجربة، وصف، تحليل، تفسير)، لكن -غادمير في كتابه "الحقيقة والمنهج" "Vérité et méthode" قد فك الرباط بين المنهج والحقيقة في رده عن "ديلتاي" الذي اعتقد في لحظة تاريخية أن مشكلة العلوم الإنسانية هي مشكلة منهج، ففكر انطلاقاً من ذلك في تأسيس منهج (الفهم) كمقابل لـ (التفسير) من شأنه أن يمكن العلوم الإنسانية من الارتقاء إلى مستوى موضوعية العلوم الطبيعية، إلا أن غادمير كان يعتقد أن المشكلة ليست مشكلة منهج، على اعتبار المنهج ليس ضماناً للحقيقة بكونه جملة من القواعد والخطوات التي تؤدي بالباحث إلى بعض النتائج، والنتائج ليست هي الحقيقة وإنما تأويل لها- وهذا هو البعد الإبستمولوجي في أطروحة غادمير، وهو البعد الذي لم ينتبه إليه هيدغر الذي ركز على البعد الأنطولوجي فحسب، وارتكزت الدراسات من لحظة غادمير على فهم الجانب اللغوي والبعد السردى للوثائق التاريخية، وفعلاً أكد على أهمية اللغة في عملية الفهم عندما يقول: "إن اللغة بالأخرى هي الوسط الكلي الذي يحدث فيه الفهم والفهم يحدث

<sup>1</sup>-بول ريكور: المسيرة الفلسفية، حوار فرنسوا إزوالد، ترجمة محمد ميلاد، ضمن كتاب مسارات فلسفية، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2004، ص183.

<sup>2</sup>-Paul Ricoeur, capabilities and rights, In. Transforming, Unjust, Structures (the capability approach), Editions Springer, Netherlands, 2006, p16-23.

في التأويل"<sup>1</sup>. وقد انتبه بول ريكور إلى أهمية البعد اللغوي والسرد في التاريخ، فقرر العمل على تفكيك العلاقة وإعادة بنائها. لأن اللغة ليست مجرد ألفاظ وعبارات وجمل تستعمل للتعبير عن عالم الأشياء بل هي كيان قائم بذاته له إمكانات الكشف عن حقيقة الأشياء بطرق متعددة منها السرد.

ويعتقد أوليفيه ابال " أن السرد قد مكن "بول ريكور" من الانفتاح على الدراسات اللغوية، فعبره "أدرك أنه كائن مولود في اللغة"<sup>2</sup> وهذا ما دفعه إلى طرح سؤال علاقة السرد بالتاريخ؟ في عمله المتميز " الزمان والسرد: الحكمة والسرد التاريخي temps et récit " الصادر عن دار الكتاب الجديد المتحدة، طبعة 2006، ترجمة سعيد الغانمي وفلاح رحيم. ويعتبر في نظر الكثير من الدارسين المتخصصين بأنه من أهم المنجزات في القرن العشرين، حيث تمكن ريكور من التوليف بين النظرية الأدبية والنظرية التاريخية برؤية فلسفية، عبر الدخول في نقاشات مع الكثير من المدارس خاصة البنيوية والتحليلية فحاذ نقاشات مع "غريماس Greimas" وألف كتاب تناول فيه فلسفة غريماس في اللسانيات والسيميائية تحت عنوان "la grammaire narrative de Greimas" نشر (1980)، وكانت بينهما مناظرة في سنة (1983) بمناسبة ندوة تناولت أعمال "غريماس"، ولكن اعترض ريكور على "غريماس" في أنه تحدث عن إمكان وجود مستوى سيميائي سابق على مرحلة التحليل اللساني.<sup>3</sup> كما انفتح ريكور على التحليلية التي قدمت بديلا عن المنهج البنيوي (التحليل الصوري).

ب- في البنية الدلالية للسرد: إذا أتينا إلى الدلالات التي يحيل إليها فعل "سرد" فنجد في اللغة الفرنسية عدة مرادفات منها: Narration، Narratologie، Narrative، Récit، ويعرف السرد في اللغة على أنه آلية تعبيرية يتم عبرها تقديم شيء بطريقة متسقة ومنسجمة، فيصير السرد تتابع للأثر.<sup>4</sup> وقد ورد في معجم ابن منظور، السرد هو المتتابع

<sup>1</sup> - هانز جورج غادمر، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوبا للطباعة والنشر، ط1، 2007، ص265.

<sup>2</sup> - بول ريكور، حي حتى الموت، ترجمة وتقديم عمارة ناصر، منشورات ضفاف، بيروت، ط2016، ص1، ص24.

<sup>3</sup> - سعد بنكراد: السيميائيات و التأويل (مدخل لسيميائيات بيرس)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، 2005، ص166.

<sup>4</sup> - الخليل بن أحمد الفراهدي كتاب العين (معجم لغوي تراثي)، تحقيق داود سلوم، وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2004، ص360.

والمسرد هو اللسان<sup>1</sup> ونفس المعنى يأخذه في المعجم الوسيط فيأتي بمعنى التابع في عملية سرد الشيء، نقول سرد الماضي أي تتبع سيرورته من ناحية كرونولوجية. وسرد الحديث يعني تابعه في أسلوب جيد<sup>2</sup>. والسرد في اللغة يحيلنا إلى عملية تتابع في الزمان، أي مراعاة أولوية وقوع الأحداث. أما علم السرد "narratologie"، أو السرديات هو مصطلح اقترحه الفرنسي "تودوروف Todorov" (1939-2017) كعلم جديد، بكونه علم الحكيم، وعلم السرد يهتم بدراسة السرد من حيث كونه خطابا Discours أو نصا Texte أو شكلا من أشكال التعبير، في حين السردية narrativité فتدرس تحليل الحكاية بوصفها نمط تمثيل القصص تمثيلا خياليا.

والسرد هو العملية التي يتم فيها نقل الوقائع (الأحداث) أو تحويلها في قالب لغوي شفهي (تأويل) أو كتابي (تثبيت) من طرف شخص أو مجموعة، ولقد حاول "جون ميشال آدم Jean- Michel Adam" في أعماله المتميزة: (السرد Le récit). و(عناصر اللسانيات النصية) (Éléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle)، تحديد الأنماط الكبرى للخطاب وهي: النمط الوصفي، النمط الإنشائي، النمط البرهاني، النمط السردية. والنمط السردية يتكون من "السارد narrateur"، وهو بمثابة "صوت الرواية"، و"المسرود له narrataire" وهو متلقي الخطاب السردية، ومن دونه يفقد السرد معناه، فالسرد يفترض دائما الآخر (الغير) أو المتلقي<sup>3</sup>. في حين النص عبارة أن بنية حجاجية وحوارية ووصفية تشكلها مجموعة من المقاطع تكون أحيانا في حالة تجانس نمطي (الوحدة النصية)، وتفتقد في بعض الأحيان لعامل التجانس فيغلب عليها الاضطراب، ويمكننا قراءة وتأويل وتحليل النص عبر المقطع فهو بوابة المعنى، لأن النص عبارة عن وحدة دلالية<sup>4</sup>.

ولكي يتوجه السارد بخطابه (نصه) للآخر (المتلقي) عليه أن يمتلك كل مفاتيح اللغة وهذا ما أشار إليه "إميل بنيفنيست Émile Benveniste" يقول: "في اللحظة التي يقرر السارد فيها الحديث ويمسك بمفاتيح اللغة، يستحضر (يتصور) الآخر (المتلقي)

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، م، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 604.

<sup>2</sup> إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط 2، 1972، ص 426.

<sup>3</sup> Jean- Michel Adam. Le récit. Editions. P.U.F.Paris. 2eme édition. 1984.p10/11.

<sup>4</sup> Jean- Michel Adam, :Éléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, pierre Madriaga, Luxembourg.1990,p51.

أمامه مهما كانت درجة حضوره. لأن كل حديث (سرد) يستوجب مخاطبا له (متلقي) ومسرود نص ما، إنها عملية تستوجب سارد ومسرود له.<sup>1</sup> أما عند ريكور فالسرد عملية يتم فيها: "تنظيم المختلف وإضفاء عليه الانسجام، فهو سيرورة من الاختلاف نحو الانسجام Processus de différentiation. من خلال آلية توزيع وتنظيم الأحداث، والأفعال، والعواطف، ليصير فعل إدماج processus d'intégration لوقائع وأفعال ومشاعر ومواقف، لأن السرد ليس مجرد وسيلة للتعبير عن الدلالة، وعن آراء بقدر ماهو الدلالة عينها."<sup>2</sup> والسرد عند ريكور له وظيفتين (الجمع/الدمج)، فالسرد نوع من الدلالة لأنه هو الأحداث، وهناك الخطاب الشعري الذي يتناول اللغة بوصفها أفكار مجردة عن الزمان. هذا في عمله (la métaphore vive) وهو عمل ترجمه إلى العربية مؤخرا "جورج زيناتي" 2016 تحت عنوان (الاستعارة الحية)، أما الخطاب السردى Discours narratif فيتناول اللغة بوصفها أفعالا متتابعة في الزمان، وهو ماوضحه في "الزمان والسرد Temps et récit"، والسرد هو منهج يعتمد كل من: الراوي، القاص، الحاكي، في عملية نقل معنى خبرة إنسانية من مستواها الفردي الخاص إلى مستواها الجماعي فتصبح موضع مشاركة، ويستعمل ريكور السرد بكل هذه المعاني.

**ج- السرد والهوية:** يؤكد ريكور على دور الجانب السردى والقصصي في تشكيل هوية الفرد والجماعة، فالسرد هو احدى العوامل المساعدة على تمظهر الذات وانوجادها في التاريخ، يكون الحياة تجربة نعيشها ولا نرومها أما الروايات فتحكي ولا تعاش، وفعل السرد فعل مركب حيث يصعب وضع حدود بين الحياة والوجود والتاريخ، نظرا لتدخل عنصر الخيال، الذي يربط بين عناصر التجربة في الزمان ويضفي عليها الانسجام، كما أن الخيال هو نوع من الفهم السابق عن الفعل السردى الذي يبث الحياة في الذاكرة ويعمل على تفعيلها، والسرد ماهو إلا محاولة لإعادة بناء التجربة الحياتية، وفعل البناء يقترب من مفهوم اعادة الانتاج la reproduction عند بيار بورديو Pierre Bourdieu (1930-2002) يكون فعل الابداع تعبير عن تفاعل بين "عالم النص وعالم القارئ"<sup>3</sup>، ويجعل ريكور من فعل القراءة الفعل التأسيسي ويعده بمثابة اللحظة

<sup>1</sup> -Emile Benveniste. Problèmes de linguistique général. Tom II. Editions Gallimard, Paris, 1974, p81-82.

<sup>2</sup> -Andrée Parente. Cinéma et narrativité. ED. I harmattan. France.2005. p39.40.

<sup>3</sup> -بول ريكور، الوجود والزمان، مصدر سابق، ص46.



الفاصلة في العملية التحليلية، لأنها اللحظة التي تعبر عن قدرة القارئ على إعادة سرد حياته وإعادة بناء تجربته ومشاركتها الغير. وهنا نكون أمام ما يطلق عليه غادمر بانصهار الآفاق La fusion des horizons ، ونقصد بذلك أفق القارئ الذي ينتهي إلى واقع معين (الحاضر) وأفق النص الذي ينتهي إلى سياقات مختلفة (الماضي)، إنه انصهار الماضي في الحاضر بهدف فهم ما يجري انطلاقاً من تجارب لم تفقد معناها بعد، لأن المعنى هو الذي يمكنني مشاركته غيري، أما التجربة فخاصة بي.

من هذا المنطلق قدم ريكور السرد le récit أعلى أنه فعل من أفعال الوعي الإرادي كفعل النطق والكتابة، مقسماً السرد إلى قسمين: الأول يتعلق بفن القص كما هو في الأعمال الأدبية، والثاني متعلق بطريقة رواية الأحداث التاريخية، وكلاهما يشترك في صفة الزمانية temporalité أو التزمّن، وهي صفة طبيعية لهذه التجارب، ومن هذا المنطلق ميز بين نوعين من الزمانية: فهناك زمانية الوجود في العالم مع الآخرين، وزمانية عميقة مرتبطة بإشكالية الموت والأبدية. وقد أدرك ريكور أهمية الزمن في تكوين المعنى الرمزي الموجود في الأعمال الفنية والأدبية والنصوص الدينية، والذي يتم الكشف عنه بفعل التأويل Interprétation<sup>1</sup>. وهذا ما يجعل من تجربة الإنسان التي يعيشها ويحكمها ويسردها تجربة تجري في الزمن، والزمن الإنساني زمن سردي، يقول: "إن الزمن يصير زمناً إنسانياً كلما كان متفصلاً بصيغة سردية، وفي المقابل فإن القصة تبلغ مدى دلالتها حين ترسم سمات التجربة الإنسانية"<sup>2</sup>.

لكن الزمان ليس أمراً موضوعياً سهل الفهم، فبقدر ما يقودنا إلى مشكلات لا حل لها، فإنه يحتوينا دون معرفتنا للكيفية، وكل محاولات فهمه تصتطم بصعوبات جديدة، ولتجاوز تلك العراقيل قدم ريكور مفاهيم عدة للزمان مركزاً على مفهومين، ومنطلقاً من تجربة أوغسطين Saint Augustin (354-430م) في اعترافاته، الزمن كما نعيشه وهو الزمن النفسي كتجربة داخلية ويعاش الزمان فيها كحاضر مستمر، ويوجد حاضر الماضي (الذاكرة) وحاضر الحاضر (الانتباه والرؤية)، وحاضر المستقبل (الانتظار أو التوقع)<sup>3</sup>، ولو عدنا إلى "أرسطو" لوجدنا عنده أكثر من مفهوم للزمان، المفهوم المادي

<sup>1</sup> -Michael Foessel et Favien Lamauche. Paul Ricœur. Textes choisis (Anthologie). 2dition du Seuil. Mars.2007.p.13

<sup>2</sup> -Paul Ricœur, temps et récit, op cit, p17.

<sup>3</sup> - Ibid, p.33

الفيزيائي الطبيعي وفيه ربط الزمان بالحركة، كما يوجد الزمان الكوني الكوزمولوجي وهو زمان خاص بالعلماء وتجاربهم في الكون، وفي ظل الكثرة المفهومية تساءل ريكور عن إمكانية ردم الهوية بين الزمن البشري والزمن الكوزمولوجي؟

يعتقد ريكور أن الإنسان يستطيع الجمع بين الزمنيين وذلك عبر إعادة صياغة تجربة حياته في حكاية يرويها (يسردها) وهذا هو الابداع الخلاق في صورته الشعرية، ولا يوجد سرد دون حبكة أو عقدة، وهي في جوهرها صياغة أو تصوير configuration تنطلق من التنافر والمهم، والتصوير يعني القدرة على إعادة ترتيب كل العناصر التي تأتينا من العالم الخارجي بتدخل ملكة الخيال، والخيال يمكننا من ابداع عوالم مختلفة ومتنوعة بطريقة لامتناهية<sup>1</sup>، وما إدخال عنصر الخيال إلا رد على السيميائيين الذين اكتفوا بدراسة بنية العمل الأدبي في أنساق، مهملين القوة الابداعية للفعل التصويري، بالرغم من كونها جوهر التجربة الأدبية (أدبية الأدب) و(شاعرية الشعر) وهو ما يدعوه ريكور بالمحاكاة الثانية التي تمثل وضعا وسطا بين العالم الخارجي المحيط بنا وتقديمه لغيرنا في صورة مغايرة، عن طريق السرد التاريخي الذي يمثل محاولة في البحث عن الحقيقة وهي مهمة المؤرخ.

وإذا كانت المدرسة التاريخية الفرنسية الجديدة (الحوليات) غيبت الحدث فإن ريكور عاد للحدث التاريخي وعمل على الربط بينه وبين الحبكة والقصص، لأن التاريخ عمل شامل ومتكامل يمر بمراحل ثلاث، وهي المراحل التي تقوم عليها علاقة السرد بالزمان (زمن معاش مباشرة بالممارسة، زمن الحبكة والعقدة والتصوير الابداعي، وزمن تلقي العمل الابداعي وعيشه من قبل القارئ)، وأهم شيء هو العمل الديناميكي لعملية الصياغة، وهي اللحظة النقدية في عمل المؤرخ، وهذا التماثل بين التجربة الأدبية والتجربة التاريخية يبقي التاريخ ضمن دائرة السرد، كما تحافظ على البعد التاريخي نفسه<sup>2</sup>، والملاحظ أن ريكور عمل على إعادة الاعتبار للتاريخ التقليدي السابق عن الحوليات وهو تاريخ قائم على سرد الوقائع والأحداث التاريخية. وقد تمكن من تطبيق القراءة الفلسفية على تصوير الزمن في السرد القصصي فانتقل من التاريخ إلى الرواية العالمية، إيمانا منه بأن انقاذ حياتنا من المأساة يكون عبر إعادة قراءة الأساطير الكبرى والنصوص التأسيسية لأنها تتضمن ايجا بات عن أسئلة مصيرية.

<sup>1</sup> - Paul Ricœur, temps et récit, op cit, p188

<sup>2</sup> - Ibid, p27

وقد تناول ريكور مفهوم الزمان في ثلاث روايات عالمية مختلفة وهي: (رواية انجليزية، ألمانية، فرنسية)، الأولى "ميسز دالواي Mrs Dalloway" للكاتبة الإنجليزية (فرجينيا وولف)، وفيها حاولت الكاتبة السفر عبر السرد داخل وخارج أذهان الشخصيات لكي تشكل صورة متكاملة عن مجتمع ما بعد الحرب العالمية الأولى، والثانية "الجبل السحري (Der Zauberberg) للالماني "توماس مان"، وتناول فيها الكاتب قضية الزمن وعلاقته بحياة الناس، كما تحدث عن فقدان الإنسان الاحساس بالزمن الطبيعي ليفكر في الزمن الأبدي في حالة تعرضه للمرض وشعوره بالموت، فهي رواية تناقش مسألة الزمن من زاوية فلسفية، أما الرواية الثالثة فهي رواية للفرنسي "مارسيل بروست" (بحثاً عن الزمن المفقود *À la recherche du temps perdu*) وفيها اكتشف أن الراوي أكثر حرية من المؤرخ، فعن طريق الرويات الأدبية يمكن استعادة الزمن الضائع، لأن الأدب يمثل ما هو خارج عن الزمان، والزمن المستعاد هو احتواء الزمن الضائع في الزمان الخارج عن الزمن، لكن تبقى هناك مسافة بينهما.<sup>1</sup> وهكذا فتح ريكور الفلسفة على الأعمال الأدبية.

وللدخول إلى عالم الأدب اضطر ريكور إلى مناقشة علاقة الزمن الروائي الخاص بالأساطير والحكايات والأعمال الأدبية والنصوص الدينية، قائلاً: "إن الاهتمام **زمني والزمان هو زمن الاهتمام**".<sup>2</sup> هكذا حاول ريكور تجاوز مباشرة ديكرت التي تطابق بين الذات والموضوع، في عملية تأسيسها للحقيقة على مبدأ الوضوح والبداية الحدسية واستبدالها بفكرة الاتهام *le soupçon*<sup>3</sup> داعياً إلى ضرورة الانطلاق من الأعمال الأدبية لأنها تعبر عن عمق التجربة الإنسانية وتنوعها. لأن القصص التي تروى يعاد عيشها بفعل التخيل، وهنا تكمن قدرة اللغة في تعبيرها عن الأزمنة الثلاثة كتجربة معاشة. مما يعني أن "الحقيقة الأهم للتجربة غير قابلة للتبليغ... أو بالأحرى لا يمكن أن تكون إلا من خلال الكتابة" الأدبية"<sup>4</sup>، ودعوة ريكور إلى التفكير عبر الوسائط لا يعني أنه يتنكر لفلسفة ديكرت والقيمة المضافة التي اضافها ديكرت للإنسانية

<sup>1</sup> - Ibid, p.285

<sup>2</sup> - بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، ترجمة جورج ويناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2009، ص512.

<sup>3</sup> - Greich. Kearny, Paul Ricœur ou les métamorphoses de la raison herméneutique, op.cit,p09.

<sup>4</sup> - بول ريكور، حي حتى الموت، مصدر سابق، ص53.

يقول: "لا رب أننا مدينون للفلسفة الديكارتية في الكوجيتو ولمقالة التفكر عند جون لوك" بالدفع الحاسمة في اتجاه ما أدعو إلى تسميته تأويلية للأنية. بهذه المثابة فإن حدوث الكوجيتو الديكارتى يمثل حدث الفكر الأكبر الذي شأننا بعده أن نفكر على نحو آخر والذي يجد تفكر الذات نفسه مرفوعا إلى هيئة صناعية لا سابق لها.<sup>1</sup> إننا مدينون للقداى في كل شيء خاصة فيما تعلق بالمنعطفات الكبرى في تاريخ البشرية. وفعلا عاد ريكور إلى "أرسطو Aristote" (384 ق.م-322 ق.م) للتأكيد على دور فعل الحكى في حياتنا، لأن أرسطو كان يرى في الأعمال الأدبية محاكاة لأفعال الإنسان. وبالمحاكاة يحصل فهم تلك الأفعال، والمحاكاة في علاقة مع الأسطورة mythe، لأن الإنسان إما يحاكي أفعالا مشابهة وقعت فعلا أو يحاكي أفعال وأشياء يتخيلها كما وقعت في الأسطورة. وتحت تأثير أرسطو وصل ريكور إلى القول: "إن أي تأويل مهم، ما كان يمكنه أن يكون من غير أن يستعير من طرق الفهم المتوفرة في عصر من العصور: الأسطورة، والمجاز، والاستعارة، والقياس، (وقد جاءنا هذا المعنى) من ارسطو. وإنه لما يثير الدهشة بالفعل أن نجد عند أرسطو أن الهرمينوطيقا لا تتحدد بالمجاز، ولكنها كل خطاب دال. ويمكن القول أكثر من ذلك، إن الخطاب الدال تأويل، وهو الذي يؤول "الواقع"، وذلك بما أنه يقول (شيئا عن شيء) وإذا كان ثمة تأويل، فذلك لأن التعبير يعد استحوادا واقعيا بواسطة التعابير الدالة"<sup>2</sup> لكن يدعور ريكور إلى نزع الأسطورة La. démythologisation متأثرا في ذلك بالألماني بولتمان، الذي حاول نزع الأسطورة عن الأساطير العبرية (الإسرائيلية)، والتعامل مع الأسطورة على أنها خطاب لغوي له بنية رمزية، ودائما اللغة هي الوسيط بين الإنسان والأشياء، واللغة غير المباشرة هي التي تستطيع أن تفصح عن حقائق الأشياء ومكنوناتها، وتتجلى في التراجيديا من غناء ومسرح، وتشمل ستة أقسام ( الحبكة، الشخصيات، التعبير، الفكرة المحورية، العرض، الغناء)، كما تتجلى في الكوميديا والقصص الملحمية، وكل هذه الأشكال تمتاز بالديناميكية في نظر ريكور، أما "أفلاطون Plato" (347 ق.م-427 ق.م) فتحدث عن المحاكاة من الدرجة الثانية. ومفهوم المحاكاة يقابله مفهوم الشاعرية عند ريكور فهو الآخر يتميز بالحركية والجمال. ويرى ريكور أن الأسطورة في تداخلها مع المحاكاة تعد

<sup>1</sup> -بول ريكور، سيرة الاعتراف، مصدر سابق، ص133-134.

<sup>2</sup> - بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هرمنوطيقية، ت منذر عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2005، ص34.

بمثابة مجموعة من الأحداث أو الأفعال المرتبة وفقا لنظام معين يمكن أن يوظف كل المفاهيم المتعلقة بالشاعرية، لأن الأسطورة عمل يتم بناؤه من خلال ترتيب الأفعال المكونة لها، وهذا ما يجعلها تتشابه والمحاكاة إلى درجة الحكمة، والأسطورة هي إما تعبير عن تجارب ومنجزات ثقافية لمجتمع ما وإما هي تعبير عن رؤية ذلك المجتمع للمستقبل.

ويذهب ريكور في حديثه عن السرد التاريخي إلى اعتبار التاريخ عبارة عن سرد لتسلسل الأفعال الإنسانية كما حدثت في الزمان الماضي، والعمل على الكشف عن مدلولاتها بالنسبة إلى الحاضر الذي نعيشه، وفي إطار الكشف عن الدلالات التاريخية وفهم سيرورتها يمكن أن نوظفها لمعرفة المستقبل، ويستند ريكور على مقارنة أوغسطين للزمان كما رأينا وهي مقارنة تختلف عن مقارنة هيدجر يقول: "إن مقارنة هيدجر استفزازية تماما خصوصا وأنها عكس مقارنة أوغسطين تضع التشديد الرئيسي على المستقبل وليس على الحاضر، مازلنا نذكر تصريحات مؤلف كتاب الاعترافات: هناك حاضر ثلاثي، حاضر الماضي وهو الذاكرة، وحاضر المستقبل وهو التوقع، وحاضر الحاضر وهو الحاضر أو الانتباه، وهذا الحاضر الثلاثي هو المبدأ المنظم للزمانية، ففيه يحصل التفتح الحميم الذي يسميه أوغسطين إنتشار النفس و الذي يجعل من الزمن البشري الصورة الناقصة للأبدية الإلهية، التي هي هنا الحاضر الأبدي"<sup>1</sup> ويعتقد ريكور أن الفعل السردى هو الذي يجعل من الزمن إنسانيا أو ذا قيمة إنسانية، ففي السرد يتم التأليف بين المتنافر ليصير متجانسا له بعدا أنطولوجيا،<sup>2</sup> وهذا بتوسط الإنسان النص والتاريخ.

أراد ريكور الربط بين التاريخ وإمكانية سرده لكي لا يفقد ميزته في فضاء العلوم الإنسانية، مؤكدا على علاقة المروي بالتجربة الإنسانية المعاشة، هذه العلاقة هي نفسها العلاقة بين التاريخ والقدرة على سرده، وقيمة التحليل السردى تكمن في الولوج إلى عالم اللغة والعمل على اكتشاف إمكاناتها التعبيرية والتواصلية والتبليغية، كما أن اللغة ليست مجرد نسق رمزي أو بنية رمزية بقدر ما هي خلاصة تجربة إنسانية تاريخية،<sup>3</sup> لهذا السبب ينبغي فهم التاريخ من خلال الرواية كفن من فنون اللغة أو

<sup>1</sup> - بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، مصدر سابق، ص 514.

<sup>2</sup> - Paul Ricœur, Du texte à l'action..Essai d herméneutique, Seuil.1989, p14.

<sup>3</sup> - Paul Ricœur, la Métaphore vive, Seuil, Paris, 1975, p30.

توضيح التاريخ من خلال الرواية، وهذا ما يجعل السرد عند ريكور مصدرا من مصادر المعرفة بالذات وبالعالَم، وعليه فالنص السردى ينطوي على أفق التجربة المعاشة، وارتباط معناها بالماضي وبأفق التوقع واتجاه صوب المستقبل.<sup>1</sup>

أما المفهوم الذي يقدمه أوغسطين حول الزمان فمختلف تماما، يقول: "من الخطأ أن نقول بوجود ثلاثة أزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل وقد يكون الأصح أن نقول: في الكون أزمنة ثلاثة حاضر الماضي وحاضر الحاضر وحاضر المستقبل، فحاضر الأشياء الماضية هو الذاكرة وحاضر الأشياء الحاضرة هو الرؤية المباشرة وحاضر الأشياء المستقبلية هو الترقب (التوقع)".<sup>2</sup> لكن ريكور يعتقد أن الإنسان عبر الخطاب السردى يعيد بناء تجربته الزمانية بغية تملكها ومعايشتها من جديد مع الغير، لهذا كل من يعتقد بوجود رواية خارج الزمن أو الأزمنة فهو مخطئ.<sup>3</sup> ويعود ريكور إلى فيلسوف الديمومة الذي رفض الانقطاع في الزمن مؤكدا على الاتصال بين الأبعاد الثلاث للزمان، يقول برغسون: "إن الملاحظة البسيطة تثبت لنا أنه في أعماق ذاتنا توجد ذاكرة هي امتداد الماضي في الحاضر، وهي دائما وأخيرا ديمومة".<sup>4</sup> وعودة ريكور إلى برغسون كانت بهدف الوقوف على دور الذاكرة في الاعتراف بالذات، وقد استند ريكور إلى كتاب "المادة والذاكرة" للوقوف على كيفية تمثل الحاضر لأشياء غائبة تنتهي إلى الماضي ومحاولة التعرف على التجارب الزمنية والوقوف على معناها، يقول: "كيف لحاضر ما أن يمكن له أن يصير ماضيا إن لم يكن قد تكون ماضيا في نفس الوقت الذي كان فيه حاضرا؟ هي ذي المفارقة الكبرى للذاكرة، فالماضي إنما هو "معاصر" للحاضر الذي كانه".<sup>5</sup>

**د- موقف من التراث محاولة في التخفيف من عنف الهوية:** حديث ريكور عن الزمان هو حديث بكيفية ما عن ضرورة العودة إلى التراث وإعادة تفعيله عن طريق إعادة تأويله، لأن التراث في نظر ريكور يستغرق أجيالا، لذلك يجب الوعي بقيمة التراث وعدم الاستهتار بما أنتجه القدامى، فلا بد من التواصل معهم وعدم تجاوزهم، كما لا يجب

<sup>1</sup> - Paul Ricœur, Du texte à l'action, op cit.p14-15.

<sup>2</sup> - أوغسطين: اعترافات أوغسطينوس، ترجمة الحوارى يوحنا الحلو، دار المشرق بيروت، ط3، 1986، ص254.

<sup>3</sup> - جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص159.

<sup>4</sup> - Henri Bergson. L'évolution créatrice. Ed. Presses Universitaires de France. Paris. 1959. p22

<sup>5</sup> - بول ريكور، سيرة الاعتراف، مصدر سابق، ص169.

التعامل مع التراث على أنه مكتمل وغير قابل للتغيير، فينبغي الانفتاح على الماضي وإعادة بنائه بتفعيل إمكاناته التي لم تفاعل، لأن علاقتنا بالماضي هي علاقة تحويل للمعنى والمعنى في حالة ترحال دائم. وهذا -المركب: ماضي، ذاكرة، تاريخ، سرد- كان من أهم دوافع السؤال عند ريكور، ولقد تساءل عن معنى تاريخ الماضي؟ الذي لا يأبى أن يصير ماضي؟ وهذا السؤال في جوهره فلسفي لا علمي، يكون الماضي غير قابل للتجربة؟ والماضي لا يمكن أن يمضي طالما لم نفتح عليه بالنقد كفاية، لأن النقد التاريخي يمكننا من تصفية حساباتنا مع الذاكرة المثقلة بالألام والجراح والتي لا تزال تحرك فينا الحقد والكراهية اتجاه الآخر، ويمكننا أن نستثمر في أطروحة ريكور المتعلقة بالذاكرة والماضي للتأسيس لثقافة التعايش عبر مقولة الاعتراف والغفران والتسامح،- الاستعمار الفرنسي للجزائر- والنقد التاريخي يفيد ضرورة الاعتراف وتحمل المسؤولية<sup>1</sup> ولا يعني انكار دور القدامى وإحالتهم للنسيان بقدر ما يعني إعادة بناء معنى تجاربهم والاستناد عليها في فهم معاناة الحاضر، من هنا آمن ريكور بالسرديات وبالمرديات الكبرى بكونها تراث غني بالمعنى على عكس "فرنسوا ليوتارد Lyotard" الذي تعرض بالنقد للمرويات والسرديات الكبرى، معلنا موتها وانتقال البشرية إلى ميتاقصة، ومعتبرا الحداثة هروب من السرديات الكبرى، لكن الحداثة لم تفكر إلا عبر أسطورة العقل في تصور ريكور ولم تتمكن من إلغاء التراث<sup>2</sup>.

ويتميز التراث عند ريكور في كونه بنية تواصلية، وداخل البنية قد تحدث انقطاعات وأزمات وانشقاقات، مما يعني ضرورة التواصل مع التراث تواصلًا نقديًا أو عبر التأويل النقدي، لأن التراث يغذي المخيلة لكي تندفع نحو الإبداع، بحكم الإبداع يحتاج إلى أرضية اجتماعية، والتراث الذي يجب أن نتواصل معه هو تراث النصوص الدينية أو تراث اللغة، الذي يمكننا من التواصل مع تاريخ المعاناة، تاريخ العنف الذي يجب مقاومته بتاريخ السلام. ويحذرنا ريكور من الهوية السردية، فيقول: "لهذه الهوية السردية أفضاؤها، ولها عاداتها وتعسفاتها. كما لها رسومها الكاريكاتيرية. وذلك كما نرى

<sup>1</sup>-بول ريكور: انتظر النهضة، ترجمة هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع64/65، 1999، ص51/50.

<sup>2</sup>-Jonathan Rée. Narrative and philosophical experience, In, on Paul Ricoeur, Narrative and interpretation, Ed, Routledge, London, New York, 1991, p76/78.

على سلم الشعب والأمم. حيث تستعمل عربونا للخوف، وللحد وللغضب، وللهدم الذاتي".<sup>1</sup>

وللتخفيف من عنف الهوية السردية L'identité narrative ربط ريكور التاريخ بالرواية، جاعلا التاريخ جنس من الأجناس الأدبية، وكلاهما يعبر عن عمق الخبرة الإنسانية، لهذا يعتبر -ريكور- التأويل قد بدأ أولا في فضاء التاريخ والعلوم الإنسانية. يقول: "إن الهرمينوطيقا ليست تفكيرا حول علوم الروح، ولكنها توضيح للأرضية الأنطولوجية التي على أساسها تستطيع أن تبني تلك العلوم"،<sup>2</sup> ويؤكد ريكور أن الطريق طويل للعودة من مستوى الاستيمولوجيا إلى مستوى الأسس الأنطولوجية، ومن الأسس الأنطولوجية إلى إستيمولوجيا العلوم الإنسانية، ولأن اللغة هي الوسيط فلا بد من تأويل الرموز والنصوص والعلامات. لأن: "النقد الفلسفي لا يستسلم للوهم والذي يفضل أن يخترق المعضلة، المأزق: النهاية".<sup>3</sup>

وفي عقده لمقارنة بين التاريخ والأسطورة يشير إلى أن التاريخ يعبر عن أشياء حقيقية وقعت في الماضي أما الاسطورة فتتناول أشياء غير حقيقية ولكن تبقى الأسطورة مهمة للمهتم بالتاريخ، لأنها تغطي النص الذي يصيب التاريخ بوصفه علما. والتاريخ كلمة مأخوذة من الكلمة اليونانية iocopca (histoire)، تحيلنا إلى البحث Recherche بمعنى: التحري، بيان، استقصاء.<sup>4</sup> ويعتمد التاريخ على الأسطورة في إعادة بناء الماضي، لاعتمادها على الخيال في ربط الحوادث بعضها ببعض في اطار ابستيمولوجيا التاريخ أو ما يسميه ريكور بواجب الذاكرة، أو بواجب عدم النسيان. "الذاكرة ليست شيئا دون السرد. والسرد ليس شيئا دون الاستماع"،<sup>5</sup> والمقصود عدم نسيان طلب الاعتراف من ضحايا الجرائم التاريخية الكبرى، والعودة إلى الماضي يعني مراجعة احتمالاته وممكناته، ويصبح الماضي، أو التراث هو الآخر الذي يؤسس هوية الأنا ومن ثم نكون أمام ثقافة تاريخية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>-بول ريكور: صراع التأويلات، دراسات هرمينوطيقية، مصدر سابق، ص 17.

<sup>2</sup>-Paul Ricœur, Du texte à l'action, op cit,p99.

<sup>3</sup>- بول ريكور، حي حتى الموت، مصدر سابق، ص 16.

<sup>4</sup>-Noëlle Baraquin et autres. Dictionnaire philosophie. Ed. Armand. Colin. Paris. 2007. P162/163.

<sup>5</sup>- أوليفيه ابال من كتاب بول ريكور، حي حتى الموت، مصدر سابق، ص 53.

<sup>6</sup>-Paul Ricœur, Du texte à l'action. op cit.19



إن اقرار ريكور بأن التأويل قد بدأ في التاريخ والعلوم الانسانية يعني أن الإنسان قد اصبح كائنا تاريخانيا، لتصبح مهمة التأويل بحث علاقة المعنى بالذات عبر الفهم الانطولوجي، أو عبر الوسائط اللغوية. والتاريخ الفلسفي للعالم كما يتصوره "هيغل" لا يقصد به مجموعة من التأملات حول التاريخ (الماضي) وإنما هو "تاريخ العالم نفسه".<sup>1</sup> إلا أن ريكور رفض موقف مدرسة الحوليات التي نادى بأن يظل التاريخ علم، كما رفض موقف السرديون الذين نادوا بأن يبقى التاريخ مجموعة من القصص بعيدا عن العلم.

ومدرسة الحوليات في نظر ريكور أهملت السرد والثانية (المدرسة السردية) افتتنت به، ولم يقبل بالحل الذي اقترحه ميشال دوسارتو Michel De certes، الذي قدم حلا وسطا وذلك بأن يظل التاريخ ولكن بوجهان، وجه سردي ووجه علمي. في حين يرى ريكور أن التاريخ سرد غير أنه من نوع مختلف، وسردية التاريخ لا تلقي وظيفته المزدوجة ليصير التاريخ معرفة علمية، لأن التاريخ يقدم لنا حقائق حول الماضي. فهو سردي لأنه نتاج تشابك جملة من الوظائف والملكات، فالتاريخ هو عملية تنسيق ودمج الاضداد وبذلك يكون علم وسرد.

ونحن ندرك أن مدرسة الحوليات بزعامة مارك بلوخ Marc Bloch، ولوسيان فيبر Lucien Fabert، وفرنان بروديل Fernand Braudel)، وغيرهم، قد اهتمت بالعمل على تحويل التاريخ إلى علم، وأن يتحول التاريخ إلى علم يكفي أن يتخلى عن طابعه القصصي، كما نجد ميشال فوكو هو الآخر يلح على ضرورة ابتعاد التاريخ عن الأسطورة، وعن كل ماهو قصصي وروائي وخيالي، ولقد أعلن "فوكو" عن قتله للأسطورة في التاريخ، لكنه لم يقتل التاريخ، بل قتل التاريخ كما يفهمه الفلاسفة، لأن التاريخ عند "فوكو" لا يمكن أن يكون تأريخ لحياة الملوك والمعارك، بل ينبغي أن يكون تأريخ للحقيقة. من هذا المنطلق أكد بول ريكور على ضرورة إعادة: "تحليل تمثلاتنا بطريقة نقدية....وبواسطة عمل الذاكرة الذي يشفي من التخيل المزيف يتعلق الأمر بإعادة نهر المخيال هذا إلى مجراه، وعدم تركه يفيض".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جورج ويلهم فريدريك هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ)، ج1، ترجمة امام عبد الفتاح إمام، دار التنوير بيروت، ط2، 2005، ص67.

<sup>2</sup> بول ريكور، حي حتى الموت، المصدر السابق، 15-16.

ويعد بروديل في مدرسة الحوليات من المدافعين عن التاريخ بمعناه الكلي (الأبعاد الإنسانية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية). مؤكداً على أن التاريخ هو الذي يصنع الناس وليس الناس من يصنعون تاريخهم، كما هو عند "ماركس" فنجدته يقول: "إن الاقتصاديات تتغير ببطء فلدينا متسع من الوقت كاف لدراستها... فبتحولها البطيء ترسم تأريخاً عميقاً للعالم".<sup>1</sup> وهو يتحدث عن زمن بطيء وزمن سريع إلى جانب زمن قصير وزمن طويل، والتاريخ الحقيقي هو في علاقة جدلية مع الجغرافيا، وبهذا انتقل التاريخ من مستوى السرد إلى مستوى المعرفة العلمية عندما يتحدث عن الاقتصاد والمجتمع. لكن ريكور عمل على ربط الفعل السردي بالتجربة الأخلاقية يقول: "ليست تجربة الزمن فقط هي التي أعيد تصويرها" هكذا بوساطة التصوير السردي، ولكن التجربة الأخلاقية، وذلك تحت علامة ما يسمى فيما بعد الحكمة العملية.<sup>2</sup>

كما عمل بول ريكور على توسعة دائرة السرد لتشمل المفاهيم التي تشكل النص الديني وهي غالباً ما تقدم في شكل سردي، مثل "الشر"، "الخطيئة"، "الانتم"، "العقاب". وركز من جهة ثانية على الأسطورة في النص الديني باعتبارها طبقة رمزية مهمة. لأنها تخبرنا عن أصل الشر كما تمكننا من معرفة مراحل تشكل عقيدة الخطيئة الأولى، يقول عن المنهج الذي اعتمده في دراسة رمزية الشر: "إن قضية الإرادة الشريرة والشر قد أرغمتني على إتمام منهج ظاهراتية الوصف الجوهرية باستخدام منهج هيرمينوطيقا التأويل المستعار من تقاليد أخرى غير ظاهراتية هوسرل إنه منهج الفلسفة التقليدية لتفسير النصوص المقدسة".<sup>3</sup> ومن خلال قراءته التراجعية إلى الخلف يكشف لنا على أن المسيحية غيرت موقع المأساة، لأنها انقذت الإنسان وتم اصلاح الخطيئة.

لكن الخلاص يظل يعيد المأساة باستمرار في التاريخ، والتاريخية عند ريكور تستدعي الزمان للتفكير في الوجود، ولا يقصد الوجود الفردي بل الوجود في العالم ومع الآخرين (هوية منفتحة) بكل ما يحمل من دلالات. والوجود مع الآخرين يقتضي تأويل

<sup>1</sup> - فرنان بروديل: الزمن العالمي، ترجمة فارس غضوب، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت، ع1985/37، 1986، ص48.

<sup>2</sup> - بول ريكور: صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، مصدر سابق، ص21

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص14.

الحياة في "ضوء القصص التي يروها الناس عنها؟ ألا تصبح قصص الحياة نفسها أكثر معقولة حين يطبق عليها الإنسان النماذج السردية، (أو الحكايات) المستمدة من التاريخ والخيال (مثل مسرحية أو رواية)؟ يبدو أن الوضع المعرفي (الإبستمولوجي) للسيرة الذاتية يؤكد هذا الحدث ويثبته"<sup>1</sup> إن الفعل السردى يمكننا من بناء الهوية كما هو شأن الشخصيات في التاريخ، فعن طريق القص والحكي تتشكل الهوية السردية ويتم التفاعل معها بكونها تجربة حياتية لها معنى، مما يعني أن الهوية الذاتية تتشكل بعد عملية الانعطاف التي تقوم بها على المنتج الثقافي والرمزي الذي تلتقيه في الحياة اليومية، والوسائط السردية تساعد الذات على تشكيل الوعي بذاتها عبر تأويل تجربتها وتأويل سرديا بمساعدة الخيال.

والفهم الذي يمر عبر الوسائط استفاده ريكور من فلاسفة الارتباب وبعض فلاسفة الدين والتيولوجيا أمثال مرسيا الياد ورولان بارت وبولتمان. وماحديث ريكور عن التأويل السردى للحياة إلا تأكيد على ضرورة الانفتاح على تجارب الآخرين والتواصل معهم، بل ينبغي الانصات للمغاير لأنه سبيل معرفة الذات، والآخر ينتمي إلى كل الأزمنة حتى أولئك الذين ينتمون إلى الذاكرة أمثال أرسطو وأفلاطون وأوغسطين، لأن هؤلاء يمكنهم إمدادنا برؤى تساعدنا على فهم ذاتنا في العالم، والعودة إلى القدامى: "هي عودة إلى منابع الوعي بالذات على شاكلة الاعتراف بالمسؤولية تكون فيه هذه الذات ضمير الكلام والفعل، الهوية أو الأنية (Soi,Self,Selbst) التي من شأن الجميع والتي هي أخص الأشياء فينا وأسبقها إلى أحوال النفس والفؤاد وتصاريف الإدراك والإحساس."<sup>2</sup> لهذا تحدث ريكور على واجب الذاكرة le devoir de memoir قائلا: "أن تحيا بالنسيان، أو تتذكر، تكتب، تحكي، لكن أن تكون ممنوعا من الحياة، لأن الموت المتجاوز سيكون الواقع الحقيقي ويكون الموت حلما ووهما"<sup>3</sup>.

إن حقيقة الذات لا تنكشف إلا عبر الانصات للآخر الذي يملك رؤية مغايرة عن الوجود، واللقاء مع المختلف هو سر حيوية الحياة، ويمكن الالتقاء مع الآخر من خلال عالم القصة والرواية والحكاية، لأن هذه الفنون الأدبية ماهي إلا نصوصا يمكن

<sup>1</sup> -بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، مصدر سابق، ص 264.

<sup>2</sup> -بول ريكور، سيرة الاعتراف، ثلاث دراسات، ترجمة فتحي إنقزو، مراجعة محمد محجوب، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص 20.

<sup>3</sup> -بول ريكور، الحياة حتى الموت، مصدر سابق، ص 45.

للذات أن تدرك نفسها عبر تأويلها تأويلا هيرمينوطيقيا، كما أن الحكايات والقصص هي تعبير عن واقع بشري معين، ودور المؤول هو اكتشاف البعد الإنساني حتى في تلك الحكايات المغرقة في الخيال، لهذا يدعونا ريكور إلى ضرورة الانتباه إلى تلك الحكايات الشعبية والأساطير الاجتماعية التي تسكن الهامش، فهو على خلاف البنيوية التي لا تلتفت إلى خارج النص وتنظر للنص على أنه بنية مغلقة، لأن المعنى في حالة ترحال دائم، ويجعل ريكور من التاريخ مجالا خصبا للحكايات والقصص، يقول: "الحياة لا تفهم إلا بالحكايات التي نرويها عنها"<sup>1</sup> وعبر الحكايات تنتقل التجارب الإنسانية في الزمن ويمكن مشاركتها مع الغير وهنا تكمن قيمة السرد.

وقد تناول ريكور دور التاريخ في كتابه المتميز "التاريخ والحقيقة Histoire et vérité" وفيه تعرض لسؤال علاقة الأنا بالآخر؟ كما تعرض للهوية السردية في كتابه "سيرة الاعتراف Parcours de la reconnaissance, trois études" وقام بوضع الهوية السردية ضمن ما يسميه فينومينولوجيا الإنسان القادر، يقول: "فالهوية الشخصية، وعلى هذه الشاكلة التفكيرية "للسرد الذاتي"، تطلق بوصفها هوية سردية"<sup>2</sup> وإشكالية الإنسان القادر تتميز بكونها في علاقة مباشرة بالإنسان المتكلم والإنسان الفاعل، وهذه العناصر هي التي تشكل الحلقة السردية والتي تكتمل صورتها بتعبيرات سيميوطيقية، ويربط ريكور الجانب السيميوطيقي بفن الشعر عند أرسطو بكون: "أرسطو، صاغ، لدى حديثه عن الملحمة والمأساة، مفهومه عن "الخرافة" (muthos) التي تهدف إلى "محاكاة" (mimèsis) الفعل. فبناء الحكبة يعطي تشكيلا معقولا إلى مجموع غير متجانس مؤلف من مقاصد وأسباب ومصادفات، أما ما يحصل عنه من وحدة معنوية فتقوم على توازن ديناميكي بين مقتضى للتوافق وقبول للخلافات هما الذان يضعان إلى نهاية السرد هذه الهوية التي من جنس خاص موضعا خطرا، كذلك قوة التوحيد وقد طبقت بهذه المثابة على التثنت الاستطراذي للسرد فغنها ليست شيئا غير "الشعر" نفسه"<sup>3</sup> فالحبكة مرتبطة بالجوانب الأخلاقية للشخصيات كما أنها مرتبطة بالأفعال، وهذا ما يجعل من الشخصية مقولة سردية وموضوع الحكبة في آن واحد.

<sup>1</sup> - بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، مصدر سابق، ص 53.

<sup>2</sup> - بول ريكور، سيرة الاعتراف، المصدر السابق، ص 143.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 143.

ولتوضيح العلاقة عاد ريكور إلى مورفولوجيا القصة لفلاديمير بروب Vladimir propp، لأن بروب عمل على التمييز بين الوظائف مميزة بين الشخصية وأفعالها لتصبح الحكاية تسلسل لجملة من الوظائف، كما عاد إلى ياوس H.R.Jauss الذي جعل القصة والحبكة من بين العوامل المساعدة على تعرف الذات على نفسها، يقول ريكور: "أن نتعلم "السرد الذاتي" فإن ذلك هو ما يستفاد من اكتساب نقدي. أن نتعلم السرد الذاتي يعني أن نتعلم أيضا السرد للذات غيرا".<sup>1</sup> وعبارة "غيرا" في نظر ريكور تثير إشكالية كبرى تتعلق بالهوية الشخصية التي تملك القدرة على السرد للآخر وللنفس، والإشكال يتعلق بالبعد الزمني للأنية وحتى بالفعل، وهنا يرتد كل شيء إلى الذات من: نطق وقدرة وفعل، ويجري كل ذلك في الديمومة التي تجعل الفعل السردى فعلا تاريخيا وأدبيا وفلسفيا، وعليه فالقدرة على استجماع الحياة في صورة سردية هي التي تجعل للحياة معنى أخلاقيا، لكن ريكور يربط سؤال الهوية السردية بسؤال الذاكرة الجماعية؟ لأن هناك جدلا كبيرا بين الهوية الذاتية وهوية الغير على مستوى الممارسات، يقول: "ففي محنة المواجهة مع الغير، لدى الفرد أو الجماعة، تكشف الهوية السردية عن هشاشتها. أما الأضرار التي تشهد على هشاشة الهوية الشخصية أو الجماعية فليست بالواهمة أصلا: إذ أنه من الملحوظ أن إيديولوجيات السلطة تعمل، بنجاح محير، على التلاعب بهذه الهويات الهشة عبر الوسائط الرمزية للفعل"<sup>2</sup> يشير ريكور إلى أن السلطة المهيمنة تلجأ إلى التلاعب بالرأسمال الرمزي عبر إثارة قضايا هوياتية وهمية وهذا أخطر ما في الأمر.

لهذا ينبغي إعادة النظر في الذاكرة الجماعية وتصفية الحسابات مع الماضي، يقول ريكور: "ليس أماننا أفضل من الذاكرة كي نؤكد أن شيئا قد وقع قبل أن تشكل عنه ذكرى نحفظها، ولنقل منذ الآن إن كتابة التاريخ نفسها لن تنجح في زحزحة الاقتناع الذي يتعرض للسخرية باستمرار ولكنه باستمرار يؤكد من جديد، وهو أن المرجع الأخير للذاكرة يبقى الماضي مهما كان معنى ماضوية الماضي".<sup>3</sup> إذا لما نتحدث عن علاقة السرد بالتاريخ فإننا نتحدث عن علاقتنا بالذاكرة المثقلة بالألام والجراح، لكنها رغم انتمائها للماضي إلا أنها لا تزال تؤثر في رؤيتنا للحاضر وفي تصورنا للمستقبل.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 144.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 147-148.

<sup>3</sup> - بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، مصدر سابق، ص 35.

وللتخفيف من ثقل الذاكرة ينبغي إعادة بنائها كأحداث عبر الفعل السردي الذي يسمح للغير مشاركتنا معنى تجاربنا ومعنى معاناتنا وحتى أحلامنا.

### خاتمة:

- عبر السرد التاريخي نتمكن من إعادة بناء التجارب الماضية واستخلاص معانيها لكي تكون سندا لفهم الواقع، لأن الماضي أو التراث هو ذلك المستمر فينا وعن طريق السرد نعي اشكال حضور الماضي في الحاضر وإدراك المسافة التي تفصلنا عنه.

- عن طريق الفعل السردي نتمكن من التأليف بين عناصر متنافرة ومتناقضة في عملية بناء حادثة تاريخية لكي تبدو متكاملة، والفعل السردي هو نوع من التحليل أو العقلنة.

- السرد ضروري لكي لا يتم نسيان التاريخ المساوي أو تاريخ أولئك الذين ضحوا من أجل أن نستمر في الحياة ونتقدم في التاريخ، فهو نوع من الاعتراف بمنجزاتهم ووفاء لتضحياتهم.

- السرد منهج تأويلي يمكننا من استنباط العبر من تجارب الماضين، فينبغي أن نتعامل مع التاريخ وتجارب الماضي على أنها بنية رمزية تحتاج إلى تأويل بهدف اكتشاف معانيها والبحث عن علاقتها بحاضرنا، كما أن التاريخ له علاقة بالزمن لأن التجربة الإنسانية تجربة زمنية تعبر عن هوية مجتمع أو أمة ما في لحظة تاريخية.

- ضرورة فتح الخطاب التاريخي على مختلف الفنون الأدبية وعلى الاستيمولوجية الفلسفية لكي يتمكن القارئ من تأويل الماضي وربطه بالحاضر، والانفتاح على التاريخ بالسرد هدفه الوقوف عند الأحداث الكبرى التي حدثت في الماضي مثل المحرقة والحربين العالميتين والاستعمار لكي لا نعيد نفس الأخطاء أو نكررها. فعبر السرد الروائي يمكن مواجهة المشكلات الكبرى التي لا تزال تنتهي إلى الماضي مثل أزمة الهوية والشرعية السياسية والشرعية الدولية.

### قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1- Paul Ricœur, la Métaphore vive, Seuil, Paris, 1975.
- 2- Paul Ricœur, Du Texte a l'action. Essai d Herméneutique, Seuil. 1989
- 3- Paul Ricœur, philosophie de la volonté, Paris 2<sup>ème</sup> édition, 1988, p18.
- 4-Paul Ricœur. capabilities and rights. In. transforming. Unjust. Structures (the capability approach). Editions Springer. N.etherlands.2006.
- 5-Paul Ricœur, temps et récit, T1, L'intrigué et le Récit historique, éditions du Seuil, 1983.

- 6- Charles Taylor. Une philosophie sans frontières ,Magazine littéraire. N°390. septembre 2000.
- 7 -Jonathan Rée. Narrative and philosophical experience. In. on Paul Ricœur. Narrative and interpretation. Ed. Rout ledge. London. New York.1991.
- 8 -Michael Foessel et Favien Lamauche, Paul Ricœur, Textes choisis (Anthologie), 2dition du Seuil, Mars, 2007.
- 9-Andrée Parente. Cinéma et narrativité. ED. l harmattan. France.2005
- 10-Dosse, Paul Ricœur, le sens d'un vie, la Découverte, Paris, 1997, p05.
- 11-Emile Benveniste. Problèmes de linguistique général. Tom II. Editions Gallimard. Paris.1974.
- 12-Greich Kearny, Paul Ricœur ou les métamorphoses de la raison herméneutique, cerf,1991
- 13-Henri Bergson. L'évolution créatrice. Ed. Presses Universitaires de France. Paris. 1959.
- 14-Jean- Michel Adam. :Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, pierre Madriaga, Luxembourg,1990.
- 15-Jean. Michel Adam. Le récit. Editions. P.U.F.Paris. 2eme édition. 1984
- 16-Noëlle Baraquin et autres. Dictionnaire philosophie. Ed. Armand. Colin. Paris. 2007.
  
- 16- بول ريكور: الذاكرة التاريخ النسيان، ترجمة جورج ويناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2009
- 17- بول ريكور: المسيرة الفلسفية، حوار فرنسوا إزوالد، ترجمة محمد ميلاد، ضمن كتاب مسارات فلسفية، دار الحوار للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا، 2004
- 18- بول ريكور: انتظر النهضة، ترجمة هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع65/64، 1999
- 19- بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، ت منذر عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2005.
- 20- بول ريكور، حي حتى الموت، ترجمة وتقديم عمارة ناصر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2016
- 21- بول ريكور، سيرة الاعتراف، ثلاث دراسات، ترجمة فتحي إنقزو، مراجعة محمد محجوب، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010
- 22- جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993
- 23- جورج ويلهلم فريديريك هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ)، ج1، ترجمة امام عبد الفتاح امام، دار التنوير ببيروت، ط2، 2005

- 24- سعد بنكراد: السيميائيات و التأويل (مدخل لسيميائيات بيرس)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، 2005
- 25- فرنان بروديل: الزمن العالمي، ترجمة فارس غضوب، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي بيروت، ع1985، 37/1986
- 26- هانز جورج غادمير، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، ط1، 2007.
- 27- ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الاسلامية، تركيا، ط2، 1972
- 28- ابن منظور: لسان العرب، م2، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005
- 29- الخليل بن أحمد الفراهدي كتاب العين (معجم لغوي تراثي)، تحقيق داود سلوم، وآخرون، مكتبة لبنان ناشرن، بيروت، 2004
- 30- أوغسطين: اعترافات أوغسطينوس، ترجمة الحواري يوحنا الحلو، دار المشرق بيروت، ط3، 1986